

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(39) يَعْزِمُ الْمَلَأُونُ (1) تفيد الآية أنَّهم في إمكانهم أن يشركوا بالله وإن كان الاجتهاد أو الهدى الإلهي مانعاً من ذلك، وقوله: (يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (2)، إلى غير ذلك من الآيات. فالإنسان المعصوم إنَّما ينصرف عن المعصية بنفسه وعن اختياره وإرادته، ونسبة الصرف إلى عصمته تعالى كنسبة انصراف غير المعصوم عن المعصية إلى توفيقه تعالى. ولا ينافي ذلك أيضاً ما يشير إليه كلامه تعالى وتصرح به الأخبار من أنَّ ذلك من الأنبياء والآئمة بتسديد من روح القدس، فإنَّ النسبة إلى روح القدس، كنسبة تسديد المومنين إلى روح الإيمان، ونسبة الضلال والغواية إلى الشيطان وتسويله، فإنَّ شيئاً من ذلك لا يخرج الفعل عن كونه فعلاً صادراً عن فاعله مستنداً إلى اختياره وإرادته فافهم ذلك. نعم هناك قوم زعموا أنَّ الله سبحانه إنَّما يصرف الإنسان عن المعصية لا من طريق اختياره وإرادته بل من طريق منازعة الأسباب ومغالبتها بخلق إرادة أو إرسال ملك يقاوم إرادة الإنسان فيمنعها عن التأثير أو يغير مجراها ويحرفها إلى غير ما من طبع الإنسان أن يقصده كما يمنع الإنسان القوى، الضعيف عما يريد من الفعل بحسب طبعه. وبعض هؤلاء وإن كانوا من المجبرة لكن الأصل المشترك الذي يبتني عليه نظرهم هذا وأشباهه: أنَّهم يرون أنَّ حاجة الأشياء إلى الباري الحق سبحانه إنَّما هي في حدوثها، وأمَّا في بقائها بعد ما وجدت فلا حاجة لها إليه فهو سبحانه سبب في عرض الأسباب، إلا أنَّه لما كان أقدر وأقوى من كل شيء كان له أن

_____ 1 . الانعام: 87 - 88 . 2 . المائدة: 67.